خطبة جمعة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم عيد الفطر ١ شوال ١٤٣٦ -وافق فيها يوم العيد يوم الجمعة- بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على نعمة الإتمام، الحمد لله على نعمة الصيام، الحمد لله على نعمة القيام، الحمد لله حمداً مستمرّاً على الدوام، الحمد لله حمداً لا نَمَلّ منه بمرور الأيام.

عباد الله، عباد الله، إن المؤمن في هذا الموقف بين حالين:

- حالٍ فيها العين تدمع، والقلب يتخشّع، فها هو شهر رمضان، شهر البركات، شهر الخيرات، قد وُدِّع ووَدَّع.
- وحالٍ يفرح فيها المؤمن بيوم عيدٍ، جعله الله ﷻ له عيداً، يفرح فيه بفضل الله، وبرحمات الله في شهر الخيرات والرحمات، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

فالحمد لله، الحمد لله الذي خفّف عنا حُزننا بذهاب شهرنا بفرحنا بيوم عيدنا، الحمد لله الذي خفف عنا الحسرات، بالعيد وما فيه من المسرّات.

عباد الله، عباد الله، قد كنتم في شهر رمضان في نهاره صُوّاماً، وفي ليله قُوّاماً، ألسنتُكم لله ذاكرة، وأفئدتكم لله شاكرة، أقبلتم على كتاب ربّكم، فما أن تفارقوه حتى تعودوا إلى أن تقرؤوه، فاستمرّوا -عباد الله- على ذلكم الخير الكبير، وتمسّكوا بكتاب الله، وأديموا قراءته ولا تهجروه، فإن ربكم ﷻ قال في صيامكم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣]، وقال في ختام شهركم: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥].

فاشكروا الله -عباد الله- بتقوى الله ﷻ بالاستمرار على الطاعات، واعلموا أن أحبّ الأعمال إلى الله أدوَمُها وإن قلّ، وأحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ أدوَمُها وإن قلّ.

فيا عبد الله، يا عبد الله، يا من ذُقتَ لذّة الطاعة للرحمن، إياك ثم إياك أن تعود إلى سواد العصيان.

يا عبد الله، يا عبد الله، يا من كنت في شهر رمضان من حزب الرحمن، إياك أن يأسِرَك الشيطان.

يا عبد الله، يا من كنتَ في شهر رمضان بَرّاً تقيّاً، صادقاً نقيّاً، احرص -عبد الله- على أن تستمرّ على ذلك الخير، فإن الله ﷻ الذي يحبّ منك الطاعة في رمضان، يحبّ منك الطاعة في كل زمان.

شهر رمضان -يا عباد الله- شهرٌ من أشهر الله يفوت، لكن ربّنا حيّ لا يموت، ربنا ﷻ يرضى عمّن أطاعه في كل زمان، فلنستمرّ -عباد الله- على طاعة الله ﷻ.

عباد الله، عباد الله، معاشر المؤمنين، إن ربكم حكيم عليم، أوجب عليكم صوم شهر رمضان، وحرّم عليكم صوم يوم العيد -أي صوم يومكم هذا-، وشرع لكم أن تتنفّلوا بصيام أيام من بقية شهركم، فما أعظم طاعة المؤمن! بالأمس كان صائماً لله وجوباً، واليوم هو مفطر لله وجوباً، وصومه عبادة، وفطره عبادة، يتقرّب بكل ذلك إلى الله ﷻ، ثم إنه لم يَمَلّ الصوم، بل يبادر إلى أن يصوم أياماً من شهر شوال، مع أن الصوم ليس واجباً عليه، لكنه يُقبِل على طاعة الله، نبينا ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستّاً من شوال كان كصيام الدهر». حديث صحيح، رواه مسلم في الصحيح.

النبي ﷺ حثّنا -معاشر المؤمنين- على أن نصوم ستة أيام من شوال بعد يوم العيد، وبيّن لنا أن في هذا فضلاً عظيماً، فإن ذلك يكون كصيام الدهر، ووجه ذلك -يا عباد الله- أن شهر رمضان بعشرة أشهر، وأن ستة أيام بشهرين، فهذا تمام العام -يا عباد الله-.

فإن قال لنا عبد من عباد الله -إن قال لنا عبد من عباد الله-: إذا كانت الحسنة بعشرة أمثالها، فإن ذلك يكون في صيام ستة أيام من أي شهر كان، ولا يتقيّد بشوال؟

قلنا: إن النبي ﷺ قيّد صيام الست بشهر شوال، وإنا لنجزم، وإنا لنقطع، أن في ذلك حكمة، وأن في ذلك فضلاً، وقد تلمّس بعض أهل العلم لهذا حِكَماً:

فقال بعض أهل العلم: إن صيام الستة من شوال هي كالسنة البعديّة لشهر رمضان، يُجبر بها ما وقع في شهر رمضان مِن نقص، فإن النوافل يُجبر بها نقص الفرائض.

ومنها: أن في هذا دليلاً على قوة إيمان المؤمن، فها هو يصوم شهراً كاملاً، ثم يعود بعد ذلك ليصوم خُمس شهر تقرّباً إلى الله ﷻ، وهذا يدل على قوة إيمانه، وعلى أنه لم يَملّ الصيام، وأنه لم يكن الصيام عليه ثقيلاً، ولو كان ذلك في غير شهر شوال لَمَا تحقّقت هذه الحكمة.

فالسنة لك -يا عبد الله- التي سنّها رسول الله ﷺ أن تصوم ستة أيام من شهر شوال.

ولا يُشترط -يا عباد الله- أن تكون متتابعة، فلو أن العبد فرّقها حصّل الفضل، وإن كان أهل العلم يقولون: إن التتابع أفضل -إن التتابع أفضل-، لكنه -يا عباد الله- ليس شرطاً لتحصيل الفضل الذي ذكره النبي ﷺ.

واعلموا -عباد الله- أن الصحيح من أقوال أهل العلم: أن من أراد أن يدرك هذا الفضل الذي أخبر به النبي ﷺ، فإنه ينبغي أن يكون قد أتمّ صيام شهر رمضان، فإن كان أفطر أياماً من رمضان لِعُذرٍ -سواء كان رجلاً كأن سافر في رمضان فأفطر، أو كان امرأة أصابها الحيض فأفطرت-، فإنه ينبغي له أن يصوم القضاء، ثم بعد ذلك يصوم الستة من شوال.

لماذا -يا عباد الله-؟ لأن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستّاً من شوال»، فجعل صيام الستة أيام من شوال تابعاً لصيام رمضان، ومن كان عليه قضاء فإنه لم يجعل الستة أيام تابعةً لصيام شهر رمضان.

فعلى المؤمن الحريص الذي يريد هذا الفضل العظيم أن يبدأ أولاً بقضاء ما عليه من رمضان، ثم يُتبع ذلك بصيام ستة أيام من شوال.

فالله الله عباد الله! الله الله عباد الله! اصبروا على طاعة الله، فإن أعماركم كشهركم تماماً، بدأ الشهر وانتهى، وإن العمر والله بدأ وسينتهي، أسأل الله أن يطيل أعماركم في طاعة، أن يطيل أعمارنا جميعاً في طاعة، فعلينا -عباد الله- أن نبادر بالاستمرار على الخيرات، لعل الله ﷻ أن يكتبنا من أهل العِلّيّين، لعل الله ﷻ أن يكتبنا من أهل الفردوس الأعلى.

واعلموا -معاشر المؤمنين- أن خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشرّكم من طال عمره وساء عمله، فكونوا -معاشر العباد- من الأخيار، ولا أُراكم إلا كذلك -يا عباد الله-.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

اعلموا أن الفرح في يوم العيد، والتوسعة على الأولاد بالمباح، والتوسعة على الزوجات بالمباح، والتوسعة على أهل البيت بالمباح، سنة مشروعة، شرعها رسول الله ﷺ.

دخل أبو بكر الصديق ﷺ على رسول الله ﷺ وهو في بيت ابنته عائشة -رضي الله عنها وأرضاها-، فوجد رسول الله ﷺ مضطجعاً، ووجد جاريتين من جواري الأنصار تُغنّيان، وليستا بمغنّيَتَين، وتضربان على الدف، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ قالها مرتين، فالتفت إليه نبي الرحمة -فِداه نفسي والناس أجمعين-، التفت إليه، وقال: «دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً، وإن هذا عيدنا».

كان الأحباش -يا عباد الله- يلعبون بالحِراب في يوم العيد في مسجد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ لأمنا عائشة ﷺ: «أتشتهين أن تنظري؟» قالت: نعم، فوقف رسول الله ﷺ على الباب، ووضعت ذِقنها على كتفه الشريف ﷺ، ووضعت خَدّها على خدّه، ورسول الله ﷺ يستُرها بردائه، فجاء الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ فزجرهم، وأهوى إلى الحصباء ليحصبهم بها، فقال رسول الله ﷺ: «دعهم، فإنهم بنو أرفدة، لتعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة، وأني بُعثت بالحنيفية السمحة»، قالت ﷺ: فما زلتُ أنظر إليهم حتى مللت، فقال: «حسبك؟» قلتُ: نعم، قال: «فاذهبي».

الله أكبر -يا عباد الله-! ما أعظم هذا الدين! فلنُظهِر -يا عباد الله- الفسحة في ديننا، ولنوسّع على أهلينا وعلى عيالنا بغير حرام يُغضب الله ﷻ.

فلا بأس أن تضرب الجواري الصغار على الدفوف، وأن يغنّين في أيام العيد، ولا بأس باللعب المباح، ولا بأس بأن تنظر النساء إلى من يلعبون اللعب المباح، في غير معصية ولا ريبة.

فاحمدوا الله -عباد الله- على هذا الدين، ولا تكونوا من المتنطّعين الذين يمنعون فرح الناس بيوم عيدهم، بحجّة أن بعض الأمة يُعانون من الآلام، فإن حُزننا على فقد شهرنا، وألَمنا بآلام إخواننا، لا يمنعنا من أن نفرح بيوم عيدنا، فإن لكل شيء قدراً.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه بها عشراً».

فهنيئاً -عباد الله- لمن أدام الصلاة على النبي ﷺ، وأكثر من الصلاة على النبي ﷺ، لا سيما في يوم الجمعة، فإن صلاتنا عليه تبلغه ﷺ.

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وسلِّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عنا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عليهم رضاً لا تسخط عليهم بعده أبداً يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا ممن أعتقت رقابهم من النيران، اللهمّ اجعلنا ممن أعتقت رقابهم من النيران، اللهمّ اجعلنا ممن أعتقت رقابهم من النيران.

اللهمّ لا تردّنا إلى مرارة العصيان، اللهمّ لا تردّنا إلى مرارة العصيان، اللهمّ لا تردّنا إلى مرارة العصيان.

اللهمّ يا ربنا، إن هؤلاء العباد قد جاءوا لأداء صلاة الجمعة، وإنهم قد علموا أن لمن حضر العيد رُخصةً في عدم حضور الجمعة، لكنهم حرصوا على الخير، اللهمّ فاكتب لهم الرحمة ضعفَين، واكتب لهم الأجر ضعفَين، واكتب لهم الجائزة ضعفين، واكتب لهم من كل خير كتبته في هذا اليوم ضعفَين يا رب العالمين، اللهمّ أكرِمهم ولا تُهِنهم، اللهمّ أكرِمهم ولا تُهِنهم، اللهمّ أكرِمهم ولا تُهِنهم، اللهمّ أعزّهم يا رب العالمين، اللهمّ من كان منهم مديناً فاقض عنه دينه عاجلاً يا رب العالمين، اللهمّ من كان منهم فقيراً فأغنِه عن خلقك يا رب العالمين، اللهمّ من كان منهم مهموماً اللهمّ ففرّج همه يا رب العالمين.

إلهنا، إلهنا، إن من أحبابنا من كان معنا في العيد في السنة الماضية، وفي السنوات الماضيات، وهو اليوم في قبره، اللهمّ فاجعله في قبره أسعد منا بعيدنا، اللهمّ اجعله في قبره سعيداً سعادةً طويلةً يا رب العالمين، اللهمّ اجعله مُنعَّماً في قبره، اللهمّ اجعله مُنعَّماً في قبره، اللهمّ اجعله مُنعَّماً في قبره، اللهمّ اجعله مُنعَّماً في قبره، اللهمّ اجعله مُنعَّماً في قبره يا رب العالمين.

اللهمّ لا تجعل هذا آخر العهد برمضان يا رب العالمين، واجعله آخر العهد بالذنوب الماضيات يا رب العالمين، اللهمّ اغفر لنا مغفرةً ترضى بها عنا يا رب العالمين.

إلهنا، يا قوي يا عزيز، إن لنا إخواناً يمرّ عليهم العيد اليوم وهم في عوَز، وهم في فقر، وهم في تشريد، وهم في خوف من أعدائك يا رب العالمين، اللهمّ فأمِّن إخواننا، وأرعِب أعداءنا يا رب العالمين، اللهمّ أمِّن إخواننا، اللهمّ أنزل السكينة في قلوبهم، اللهمّ أنزل السكينة في قلوبهم، اللهمّ أبدل خوفهم أمناً، اللهمّ أبدل جوعهم شبعاً يا رب العالمين، اللهمّ انصرهم، اللهمّ انصرهم، اللهمّ انصرهم، اللهمّ أطفئ الفتن عن بلاد المسلمين يا رب العالمين، وصُبّها على من أراد بالمسلمين شرّاً يا رب العالمين، اللهمّ احفظ جميع بلاد المسلمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، واجعل عيدنا الأكبر يا ربنا حين نلقاك يا رب العالمين، اللهمّ اجعل أعظم أعيادنا حين نلقاك يا رب العالمين.

والله أعلم، وصلَّى الله على النبي الأكرم، وسلَّم تسليماً كثيراً.